

المصاحفة

١٣١٥

﴿يوم السبت ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣١٦ الموافق ٦ مايو - ايار - سنة ١٨٩٩﴾

استنراض هم

(١)

(رسالة مطولة لاحد فضلاء الكتاب في سوريا)

لم أتر الحديث تسلسل في هذا الموضوع بين الكتاب مثلاً رأيناه لهذا
 الممد ولم نمد للاقلام جولة في هذا الضمار كجولتها في هذه الازمنة المتأخرة
 شعور ساوي قام في نفوس النباه من المسلمين وعقلاهم وروح زكي هبط
 عليهم من عالم القدس فبعث راقدهمهم . اذا تهامس أبناء طنجة بحديث في
 الاصلاح رن صدهاء بين أبناء سنغابور وحوتموا عليه او قدح هؤلاء زياد
 رأي في عمل لاح له وميض في جو أولئك واشرا أبو اليه وان تموج الهواء
 من أقصى الجنوب لهمة مسلمها اصاخ له اخوانهم في أقصى الشمال وان
 تناجي اثنان هنا انتقلت نجواهما الى هناك انتقال الكهربائية بدون اسلاك
 أهاب المشيظ بالمهوم (١) وصاح المتنبه بالغافل وتتل العامل المقصر

(١) اهاب به زجره وصاح به والمهوم من غلبة التعاس فجعل يهز رأسه

واستحث السابق المتأخر وهم في حوارهم هذا يجمعون على ان الامة في مرض يقرب من الحرض وكادوا يصفقون على ان علاجه الناجع هو تعميم التربية والتعليم . هل الامة في عوز لتناول هذا الملاج وهل يتسنى لها تناوله وان احجمت عن تناوله كيف يكون مصيرها والى اي بيثة تتحول بيثاتها . استدعى هذا السؤال جوابا مسهبا واستثار حديثا طويلا وكنت في ملا من اهل اليسار والجاه والنعمة والرفاه فاحببت ان ارفعه على صفحات (المنار) علّ فيه موعظة وذكرى لاولى الابصار

قلت اولاً ان الحكومات الاسلامية التي ما برحت تحافظ على استقلالها هي اربع - العثمانية والفارسية والافغانية والمراكشية اما بقية الجماعات الاسلامية فهي اما امارات مستضعفة تلوذ بالدول الافرنجية او تستظل بحمايتها واما قبائل رحل تضرب في صحارى افريقية ومجاهل آسيا وهناك اقوام سقطوا في مهاوي الاستعمار الاوربي وخنعوا لوصولان الحكم الاجنبي ولا جرم ان النهضة في اصلاح الخلل ورتق الفتق انما ترجي على اكملها في الحكومات الاربع المستقلة . اذا لم تسع تلك الحكومات في التقرب من بعضها ولم تدبر عاقبة امرها فبشرها بسوء المنقلب وشؤم المال . كيف يؤمل اصلاح العام اذا لم يمش رجالا (١) من اهل المشرق الى رجالا من اهل المغرب ويتحاوروا في اصلاح شؤونهم ويديروا الراي في مواساة علمهم وتضميد كلومهم ؟ كيف تتجدد القلوب وتلتئم الالهواء وعلماء تلك الحكومات متخاذلون ومن الصراط السوي نا كبون لا يعترف احدهم للآخر بشأن ولا

(١) رجالا جمع رجال فهو جمع الجمع ولكنه لا يستعمل الا في اشراف القوم

ولا يستصوب له رأيا الا اذا وافق هواه ولا ثم ما قام في نفسه . اذا آانس
احدهم من الآخر معارضة او مخالفة بهر- (١) بالزندقة والمروق وزنه (٢)
بالكفر والاحاد- كل ذلك ليلوي عنه اعناق السامعين ويصرف قلوب
المعجبين ويستأثر بالشهرة بين العالمين . كيف يرجي الاشراف على الغاية التي
توخي الوصول اليها واولو الامر في تلك الحكومات لا يهتمهم سوى حفظ
مراكرهم وصيانة جثمانهم ؛ قصروا ايدي نهاء الامة عن مشاركتهم في ادارة
شؤونها ومشايقتهم في رأب صدوعها وأخذوا باكظامهم (٣) دون التفوه بكلمة
تؤذي بانعاشها وتعمل على اسعادها . فعلوا ما فعلوا ارادة المحافظة على الاطلاق
والاستئثار بالسلطة والانفراد بالامر . ليتهم يعلمون أن ذلك الاطلاق الذي
توخوه هو عين التقييد والحجز اليسوا في هلع دائم وجبن خالع من
حدوث ثورات تقضي على سلطتهم وتبزم اطلاقهم واستبدادهم اليسوا في
حذر واشفاق من تألب الامة عليهم وأخذها على أيديهم اليس كل خطأ
في سياسة البلاد او خلل في ادارة مصالحها وأعمالها ينسب في العادة الى عاهلها
او اميرها اذا كان مطلق التصرف ويعزى الى أفن رأيه وسوء تديره :

هذه شؤون المطلقين المستأثرين بالسلطة . اصرفوا ابصاركم تلقاء أولئك
الذين زحزحوا عن عواقبهم عبء المسؤولية والقوا معظمه على رجال من امهم
وقيدوا أنفسهم بآراء المتخبين والشرائع والقوانين تروهم يتقلبون في شؤونهم
وملء عيونهم غمض وحشو اجسامهم أمن لا تسمع في بلادهم لاغية شكوى
عليهم ولا تحس بركنز او حسيس (٤) لثورة في خضد شوكتهم وثل عروشهم

(١) بهر بهته ورماء بما هو برآء منه (٢) زنه أهمه (٣) اخذ باكظامه . بمعنى

قبض على حلقه ومدارج انفاسه (٤) الركنز والحسيس معناها الصوت الخفي

اذا لم بسياسة الامة ضعف او فساد او حدث في مصالحها العامة تراخ او خلل
 كان المسؤول بتلك التبعة والمطالب بسوء نتائجها هو الذي جناها واجترحتها يده
 لا ينحى على الزعيم الا كبر بلائمة ولا ينس في النيل منه بكلمة . لا جرم ان
 المسي بالاطلاق هو عين التقييد والمسي بالتقييد هو عين الاطلاق
 انى يتاح للامة افاقة من هذا الخمار او تفلت من احابيل الجهن
 والضعف والاستخذاء (المذلة) وروحها التي هي المال في قبضة اناس
 لا يهمهم سوى اتقاها في سبيل شهواتهم . ليت شعري بماذا يمتاز المسترسلون
 في ملاذهم المنغسبون في شهواتهم عن البهائم المرسله اذا لم يبذلوا جزءاً من
 دثرهم - مالهم الكثير - في انقاذ امتهم من الجهالة وتنوير عقول شبانها بالعلم
 والعرفان . مهما تنعم المرء في ضروب الترف وتقلب في انواع الرفه كان حظ
 البهيمة في ذلك اكمل ولذتها اتم . البهيمة تسعى في تلمس شهوة نفسها
 واستيفاء لذة حواسها فالحليق بالانسان ان يباينها في ذلك ويسمي في تطلب
 شهوة عقله واستيفاء لذة وجدانه وشعوره . شهوة العقل هي الارتياض
 بالكلمات والقيام بالواجبات . لا كمال ارفع ولا واجب اقدس من خدمة
 المرء لامته وسعيه في اصلاح قومه . لا عمل يحفظه التاريخ ويشكره الله مثل
 عمل المرء في صيانة وطنه وانقاذه من المخاطر المحتمة به . ما ينتظر المتقاعدون
 عن العمل ماذا يربو المخلفون عن مشايمة العاملين مالم الذي يثبط . الحمم عن
 السعي مالم الذي يضعف العزائم عن الجهر بالحق والنصيحة ؛ اينظرون صيحة
 من العالم العلوى تشير الراكد وتوقف الراقد ايرتقبون هتافاً من عالم الآرواح
 يزعج الانفس المطمئنة ويتلألئ بهم المستكنة ايصيخون الى نبات وههسات
 من خلل برازخ الاموات تجمع البدد وتصلح ما فسد وتعلم الجاهل وتنبه

الغافل ؛ جلت عظمة الله وتقدست حكمته ان هي الأنواميس كونية و سنن آلهية و وضعها تعالى من العالم موضع القطب من الرحي او الروح من الجسد فن رعاها حق رعايتها وتوخي السير عليها ظفر ومن دابرها او تنكب جددتها عثر تلك النواميس والسنن لا تبديل فيها ولا تخلف يعترض دون اطرادها الا ما كان في أزمنة النبوات ازمنة التحدي بالحوارق والمعجزات وبالجملة ان ما تواتر على الامة من القوارع وتتابع من وخزات الحوادث كاف لا ماطة غشاوة الغفلة عن أبصار آحادها وتفكيك همهم من العقل والاغلال التي كبلتها . وما رأينا لهذه الآونة من تلك الروح العلوية الفائضة عن السنة عقلائنا والطائفة على اسنان اقلامهم في خطبهم وكتاباتهم جدير باحياء ميت الآمال فينا واثارة رواكد الإيماني في نفوسنا وحقيق بان يعثنا على اطراح اليأس والقنوط والاخذ باسباب الحيطه والحزم قبل تقاص القرص وتجاوفي الاسباب وحدوث مالم يكن في الحساب . فلنلف اليأس بالكسل . وزمي بهما من حلق جبل . ولنضع امام اعيننا نور الامل ثم لنقبل على العلم والعمل وعلى الله سبحانه العصمة من الزلل

بَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ

✽ التعليم القضائي ✽

بيننا في نبذة سابقة ان مثلي طرائق التليم هي التعليم بالعمل وذلك اجمال لو فصل بيان كفياته بالنسبة الى كل علم وفن لاحتاج الى مجلدات كثيرة ولكن العالم بفن من الفنون تكفيه الاشارة لانه مها كان جاهلا